

مكتبة

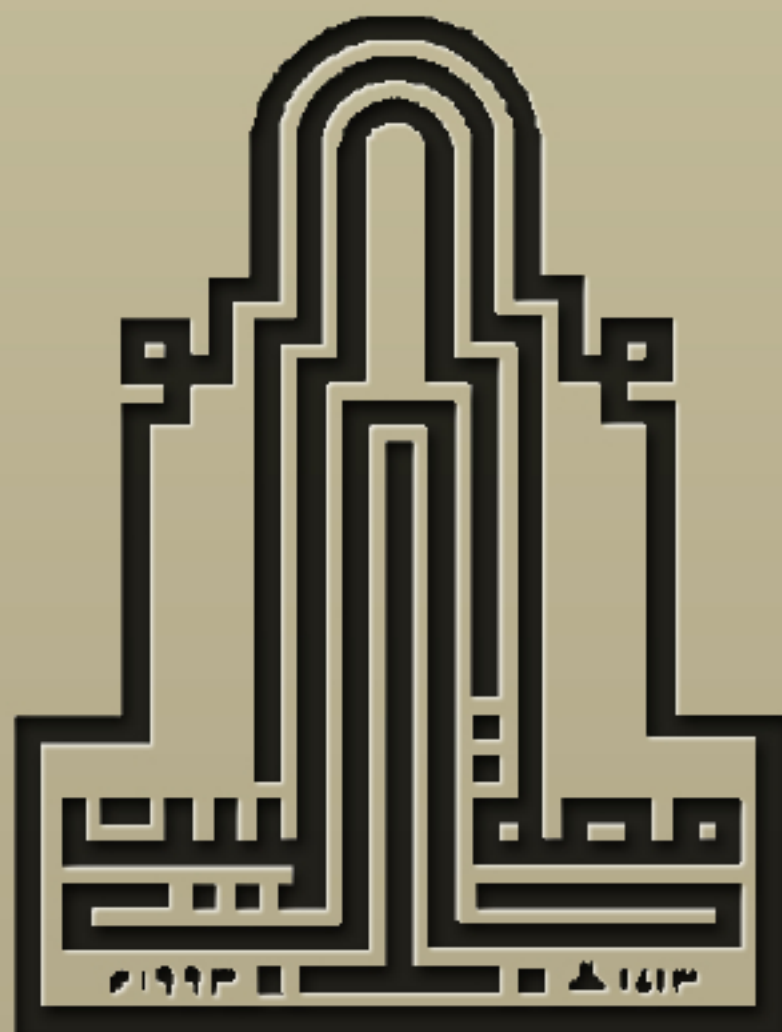
” خذُ وأعطي ”

الإلكترونية

جامعة آل البيت " كلية الإقتصاد "

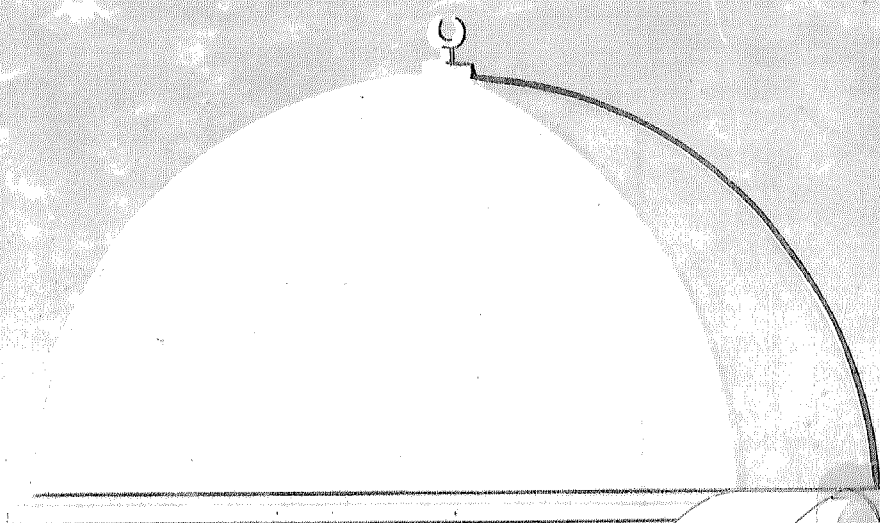
مجموعة طلابية تسعى لتوفير كل ما يلزم طلاب

كلية إدارة المال والاعمال من مواد وشرحات واسئلة بصورة الكترونية



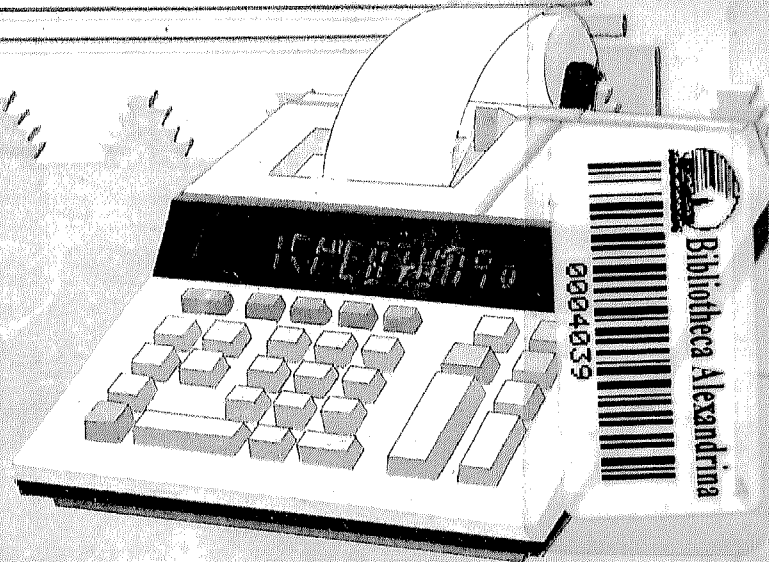
مكتبة
خذ وأعطي

نظم محاسبية في الإسلام



إعداد
و. محمد عطية
أستاذ المحاسبة المتفرغ بجامعة الزقازيق
وأستاذ المحاسبة الإسلامية بجامعة أم القري

الناشر // منشأة المعارف بالإسكندرية
جلال حزي وشركاه



Bibliotheca Alexandrina
0004039

نظم محاسبية في الإسلام

إعداد

دكتور محمد شلال عطية

أستاذ المحاسبة "المتفرغ" بجامعة الزقازيق
وأستاذ المحاسبة الإسلامية بجامعة أم القرى

الطبعة الثانية (معدلة)

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الناشر // **مكتبة** منشأة
بالإسكندرية

جلال حزي وشركاه

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

In the Name of Allah
Most Gracious
Most Merciful

مقدمة الطبعة الثانية

أحمد الله وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شر نفسي وسيئات عملي ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، لم يترك لنا خيرا إلا أمرنا بالتزود منه ، ولم يترك شرا إلا أمرنا باجتنابه ، فجزاه الله عنا ما هو أهله ، وصلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وبعد *

فقد مضت على الطبعة الأولى لهذا الكتاب قرابة ثمان سنوات ، تلقيت خلالها بعض الانتقادات المخلصة والتوجيهات السديدة ، والتي كان منها نقص الحالات التطبيقية في المحاسبة الاسلامية ، وعدم وجود المصطلحات الانجليزية للألفاظ الفقهية *

وقد حاولت طاقتي معالجة القصور في الطبعة السابقة ، وقد ساعدني في ذلك بعض البحوث المنشورة والرسائل القيمة التي أعدت في الجامعات الاسلامية في الفترة الأخيرة ، راجيا من الله عز وجل أن تتاح لي فرصة أخرى لاستكمال المعالجة العلمية لهذا الموضوع الهام *

ولا يفوتني أن أشكر الزميلين الكريمين الدكتور يوسف ابراهيم طبل أستاذ المحاسبة المساعد بجامعة الملك عبد العزيز والدكتور محمد عبد الحليم عمر أستاذ المحاسبة المشارك بجامعة أم القرى وجامعة الأزهر ، والذي كان لتوجيهاتهما السديدة أكبر الأثر في اخراج هذه الدراسة *

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يجزيهما عنا وعن العلم خير الجزاء ، وأن يقبل عملنا خالصا لوجهه *

انه سميع مجيب

محمد كمال عطية

مكة المكرمة

في غرة رمضان ١٤٠٩

٧ ابريل ١٩٨٩

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله العزيز الوهاب ، الذي أنزل على عبده خير كتاب ، قال فيه
(ولتعلموا عدد السنين والحساب) والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم .

ان الاسلام فكر ودين ، ونظام مجتمع ومنهج حياة ، يجمع بين الروح
والمادة والعلم والتطور ، والدينا والآخرة ، يصلح لكل زمان ومكان ،
ولكافة الأجناس والأقوام ، والأمم والشعوب .

وقد جاء الاسلام خاتما لرسالات السماء ، بعد أن بلغت الانسانية
الرشد ، وأصبحت أهلا لاستقبال رسالة عالمية خالدة ، مصححة ما انحرفت
اليه الأديان التي سبقته ، وجاء كتابه كاشفا لهذه الحقائق مهيمنا على الكتب
التي جاء بها الرسل من قبل . وفي خلال أربعة عشر قرنا مضت ، صمد
الاسلام رغم التيارات والتحديات التي تعرض لها ، وهو مجرد من كل قوة
غير قوته الذاتية الكامنة في طبيعته وشموله ، والنابعة من بساطته
ووضوحه ، وملاءمته للفطرة البشرية ، وتلبية حاجاتها المتطورة .

ان الرسالة الاسلامية لها الفضل الأول في تطور الافكار الاقتصادية
الى شكلها الحديث ، لأن الاسلام رسالة شريعة وفكر وعمل لبشرية كلها ،
ويعلم الخالق جلت قدرته - يقينا - ما يصلح خلقه وينظم شئونهم ويهديهم
الى سواء السبيل (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) .

وجاء الاسلام بالخطوط العريضة لتنظيم استغلال الموارد الاقتصادية
بطرف مشروعة لصالح البشرية كلها ، ومقرا لمبادئ عامة مثل الاعتراف
بالملكية الفردية والتفاوت في الدخول وفروض الارث والنفقات الواجبة ،
تاركا تفصيل الوسائل الخاصة بتطبيق النظام الى أهل العلم وأولى الأمر في
كل مجتمع وفقا لظروفه وأحواله والمصر الذي نعيش فيه .

- ١٠ -

وعلم المحاسبة هو أحد العلوم الاجتماعية الذي يهدف الى قياس النشاط الاقتصادي لتحقيق أغراض إدارية منشودة . وبلا شك فان المحاسبة بمفهومها الحديث مصدرها الحقيقي هو الاسلام ، الذي فتح باب الاجتهاد الشرعي للحساب مع تغير الظروف الاقتصادية للمجتمع ، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي حثنا على تعلم الحساب ، وأمرنا بكتابة وتسجيل المعاملات ، وتنظيم تداولها حتى يعم الحب ، وينتشر الرخاء بين الناس .

وقد قدمت في هذا الكتاب بقدر ما وفقني الله اليه من اثاره بعض الموضوعات المحاسبية ، التي آمل أن تكون نواة لدراسات مفصلة في المستقبل ، وبذلك فان هذا الكتاب يتضمن ستة موضوعات حسب الآتي :

الفصل الأول : المال في الاسلام

الفصل الثاني : القياس المحاسبي في الاسلام

الفصل الثالث : عناصر الانتاج في الاسلام

الفصل الرابع : محاسبة الشركات والمواريث

الفصل الخامس : محاسبة البنوك الاسلامية

الفصل السادس : النفقات الواجبة في الاسلام

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل عملي خالصاً لوجهه ، وأن يعفو عني فيما أخطأت فيه ، وأن أكون قد وفقت فيما هدفت اليه (وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب) .

محمد كمال عطية

جده في يوم الجمعة

١٨ ذو الحجة ١٤٠١

١٦ أكتوبر ١٩٨١

الفصل الأول

المال في الإسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ، إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ، وَإِنَّ
لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ، فَأَنْذَرْنَكُمْ نَارًا نُلَظِّئُ ، لَا يَصْلَاهَا إِلَّا
الْأَشْقَى ، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ، الَّذِي
يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى . »

(آية ١١ - ١٨ من سورة الليل)

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

مقدمة

ان الاسلام ، فضلا على أنه خاتم الديانات السماوية ، فهو منهاج كامل للحياة الفاضلة ، لأنه يخلص الانسان من أدران الحياة الدنيئة وينتجه به الى الكمال والفلاح ، وهو دين عام شامل يقدر صلة الانسان بربه من جهة ، وعلاقته بالآخرين في المجتمع الذي يعيش فيه من جهة أخرى (١) . وما كان الاسلام ليغفل شأن المال أهم مقومات الحياة على هذه الأرض ، فيقول تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) (٢) .

ولم يحتقر الاسلام المال ولم يحرم الطيبات ، فيقول تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق) (٣) . ولم يزهّد الاسلام في الثروة فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لئن تدع عيالك أغنياء خير من أن يتكفّفوا الناس) . ولم يعتبر كثرة المال مقياسا للدرجات فيقول تعالى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) (٤) .

والمال من أقوى المؤثرات على الانسان في هذه الحياة ، والانسان في طمع مستمر للمال حتى لو غرق فيه فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم (عجب لابن آدم ، لو كان له واديان من ذهب لتمنى أن يكون لهما ثالث) . والمال له سكرة تطغى على تفكير الانسان قد تعرضه لاهلاك نفسه وولده في سبيل الحصول عليه ، يقول تعالى : (وتحبون المال حبا جما) (٥) .

لقد ذكر المال في القرآن الكريم ستا وثمانين مرة مفردا وجمعا

(١) د. محمد كمال عطية ، المال في الاسلام ، مجلة المال والتجارة - القاهرة ، يوليو ١٩٨١ .

(٢) آية ٤٦ من سورة الكهف .

(٣) آية ٣٢ من سورة الاعراف .

(٤) آية ١٣ من سورة الحجرات .

(٥) آية ٢٠ من سورة الفجر .

- ٤٤ -

ومعرفا ومنكرا ومضافا ، ولا شك أن دوران المال بهذه الكثرة في كتاب الله دليل على نظرة الاسلام اليه نظرة اهتمام وتقدير لآثاره الشديدة في الحياة ، والملاحظ أن أكثر ما يذكر المال يذكر مقترنا بالأولاد أو الأنفس ، وهذا دليل آخر على أنه عديل الولد والنفوس ، بل لقد قدم عليهما في جميع الآيات التي جمعتها بهما(٦) ، ولم يتأخر عنهما الا مرة واحدة في قوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة) (٧) ، أما غير هذه الآية فالمال مقدم دائما ، ومن هذا قوله تعالى (وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله) (٨) ، (وامتدناكم باموال وبنين وجعلناكم أكثر فقيرا) (٩) *

ولا شك أن هذا التقديم فيه الفات صريح الى أن المال في منزلة تفوق منزلة النفس والولد ، ولا عجب فان المال في النظام الاسلامي له قيمة مرموقة وتعتمد عليه الحياة الى درجة كبيرة .

وستتناول موضوع المال في الاسلام وأثره على المحاسبة في أربعة مباحث هي كالتالي :

- المبحث الأول : مفهوم المال
- المبحث الثاني : ملكية المال
- المبحث الثالث : رأس المال
- المبحث الرابع : بيت المال

(٦) عبد الكريم الحطيب ، السياسة المالية في الاسلام ، بيروت ، ١٩٧٥ ، صفحة ٣٩ .
 (٧) آية ١١١ من سورة التوبة .
 (٨) آية ١٥ من سورة الحجرات .
 (٩) آية ٦ من سورة الاسراء .

المبحث الأول

مفهوم المال في الاسلام

Significance Of Money In Islam

المال هو ما تميل اليه النفس وتهواه ، ورغم أن المال من الزينة العارضة ، الا أن الاسلام وهو دين الفطرة يقدر ضعف النفس البشرية ازاء بريقه في حدود وازع الضمير والخوف من الحرام .

والمال ليس هدف الحياة ، ولا ينبغي أن يشغل الانسان عن عبادة ربه لأن قيمة الحياة تفوق المال بكثير ، ولكن للمال وظيفة اجتماعية واسعة ومسئولية خطيرة في الدارين .

والله سبحانه وتعالى هو مالك المال وان الانسان مكلف بحراسته والخلافة عليه فقط ، فيقول تعالى (وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ) (١) ، وما دام المال هو مال الله لا بد أن يوجه الى ما يرضيه وذلك بتوجيهه الى خدمة المجتمع كله .

اولا - المال في اللغة :

المال في اللغة هو كل ما يرغب الناس في اقتنائه أو امتلاكه ، وفي المعاجم العربية المال هو ما تملكه من جميع الأشياء ، غير أن البادية أكثر ما يطلقون المال على الأنعام ، وأهل الحضرة أكثر ما يطلقون المال على الذهب والفضة ، وان كان الجميع مالا .

ثانيا - المال في الفقه الاسلامي :

اختلف الفقهاء في معنى المال شرعا ، فعند الحنفية المال كل ما يمكن حيازته والانتفاع به على وجه معتاد ، أما ما لا يمكن حيازته فلا يعد

(١) آية ٧ من سورة الحديد .

مالا وان انتفع به كضوء الشمس ، وبالتالي فان حق المسكن وحق الحضانة لا يعد مالا عند الحنفية .

اما المالكية والحنابلة يرون أن المنافع أموال ، اذ ليس من الواجب في المال عندهم امكن حيازته بنفسه ، بل يكفي حيازته بمعرفة أصله أو مصدره ، فان من يحوز منزلا سواء انتفع به أو ينتفع به غيره فهو مال لأنه لا ينتفع به الا باذن مالكة .

ويعرف الامام الشافعي - رضى الله عنه - المال بأنه هو ما له قيمة يباع بها ، ولا تزول ماليته الا بترك الناس كلهم له ، فلو ترك بعض الناس مبنى قديم ، فلا زال يعتبر مالا لأنه يمكن الانتفاع به من أناس آخرين وله قيمة لديهم (٢) .

ثالثا - تقسيم المال عند الفقهاء : Classification of Money

يرى رجال الفقه الاسلامى أن المال يقسم من عدة نواح وذلك بحسب الضمان والثبات والتماثل والخصائص والملكية والتبادل كالاتى :

- ١ - حسب الضمان ، الى مال متقوم ومال غير متقوم
- ٢ - حسب الثبات الى عقار ومنقول
- ٣ - حسب التماثل الى مثلى وقيمي
- ٤ - حسب الخصائص الى استهلاكي واستعمالي
- ٥ - حسب الملكية الى عام وخاص
- ٦ - حسب الغرض الى عروض وأثمان

وستتناول فيما يلي باختصار تفسير هذه التقسيمات المختلفة .

١ - مال متقوم ومال غير متقوم : Valuable and unvaluable

يختلف النشاط الاقتصادي فى المجتمع الاسلامى عن النشاط الاقتصادي الرأسمالى أو الشيوعى ، اذ أن مقياس الأعمال فى الفقه الاسلامى

(٢) د. عبد الفتاح حسيني الشيخ ، بحوث فى الفقه الاسلامى ، دار الكتاب الجامعى ،

هو الحلال والحرام حسب أوامر الله ونواهيه ، بخلاف الأنظمة الأخرى التي تقيس الأعمال - بصفة رئيسية - حسب حجم المنافع الناتجة منها .

ورسم الاسلام نظاما مشروعا لتنمية الثروة عن طريق الزراعة أو التجارة أو الصناعة أو عن أى طريق آخر من طرق الكسب الحلال ، وتبعاً لذلك حرمت بعض الأعمال التي تقوم على فساد فى الوجدان والضمير أو السحت .

ويرى الامام مالك أن عروض التجارة يجب أن تكون فى مال متقوم وهو ما حيز (امتلك) وجاز الانتفاع به فى حالة السلعة (المقدرة) والاختيار بغير اجبار . والمال غير المتقوم هو ما لا يتوفر فيه أحد الأمرين وهما الحيابة وجواز الانتفاع به .

وعلى هذه الأسس ، يكون الخمر والخنزير فى حق المسلم مال غير متقوم . ومن المال غير المتقوم كل انتاج ضار مثل الخمر والميسر كما يقول تعالى (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان) (٣) ، ولحم الخنزير (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) (٤) . وجميع المعاملات التي تلحق الضرر بالفرد أو المجتمع أو الدولة كالاتجار بالحشيش أو الاتجار مع العدو أو القمار ، اذ أن الكسب من هذه الطرق هو كسب خبيث غير مشروع ، ويجوز للدولة أن تصادر الايراد الناتج عنها لأنها جمعت عن طريق غير مشروع ، وبالتالي فان هذه الأموال غير مضمونة وليس لها قيمة حقيقية .

٢ - عقار ومنقول : Immovable and Movable

ينقسم المال حسب درجة الثبات وعدمه الى عقار ومنقول ، والمنقول هو كل ما يمكن نقله وتحويله من مكان لآخر مثل النقود وعروض التجارة والحيوان والسفن ، والعقار عند الحنفية كل ما لا يمكن نقله وتحويله من مكان لآخر وهو الأرض ولو كان البناء والشجر قائمين على الأرض يعتبران فى المذهب الحنفى من المنقولات .

أما المذهب المالكي فيعتبر البناء والشجر القائم على الأرض وهما

(٣) آية ٩٠ من سورة المائدة .

(٤) آية ٣ من سورة المائدة .

متصلان بالأرض لأن البناء اذا نقل تتغير حالته ويصير أنقاضا والشجر يصير خشبا ، فكأنه من العقار الثابت ، وهذا يتفق مع المحاسبة المعاصرة التي تعتبر المبانى والأشجار من الأصول الثابتة .

٣ - مال مثل ومال قيمى : Replaceable and Irreplaceable

ينقسم المال من حيث التماثل وعدمه الى مثل وقيمى ، والمال المثلئ هو ما تماثلت أجزاؤه بحيث يمكن أن يحل بعضها محل الآخر مثل السكر والحديد ، وأغلبها من عروض التجارة . والمال القيمى هو ما تفاوتت أجزاؤه تفاوتنا جوهريا بحيث لا يمكن أن يقوم بعضها مكان البعض الآخر ، مثل التحف والحيوانات ، وهذا يبدو واضحا أن رأس الغنم تختلف عن أختها من نفس الجنس .

ويرى رجال الفقه الاسلامى أن الأموال المثلية تثبت فى الذمة بشبوت الدين فيجب على الملتزم وفاء دينه من أى من الأموال المثلية أو المماثلة . أما الأموال القيمية فلا تعتبر من الأموال الربوية فيجوز مبادلة شاة بشاتين^(٥) .

٤ - مال استهلاكى ومال استعمالى : Consumable and Useable

ينقسم المال باعتبار خصائصه الى استهلاكى واستعمالى ، والمال الاستهلاكى هو ما يمكن الانتفاع بخصائصه وتزول قيمته بعد ذلك مثل الأطعمة والمشروبات ، وفى العادة تكون الأموال الاستهلاكية مثلية . أما المال الاستعمالى هو ما يتحقق الانتفاع به عن طريق الاستعمال عدة مرات مع بقاء عينه مثل العقار والحيوانات ، وفى العادة تكون الأموال الاستعمالية قيمية ، وتتكون الثروة من الأموال غير الاستهلاكية .

٥ - مال خاص ومال عام : Private and Public

ينقسم المال باعتبار مالكة الى مال خاص ومال عام ، أما المال الخاص فهي الأموال التى تدخل فى الملك الفردى باعتبارها محجوزة عن الكافة ، أى أنها ليست مشاعة بين عموم الناس ولا مباحة لهم لا رقبة ولا منفعة كالأموال المنقولة كلها ، أما الأموال العامة فهي ما ليست داخلية فى الملك الفردى فهي لمصلحة العموم ومنافعهم كالهواء والبحر .

(٥) د. بدران أبو العينين بدران ، الشريعة الاسلامية ، الاسكندرية ، ١٩٧٠ ، ص ٣٦٤

Goods and Prices

٦ - العروض والأثمان :

يبوب المال في الفكر الاسلامي حسب أغراضه وأهدافه الى عروض وأثمان ، والعروض أو الأعيان هي ما ينتفع بها بذاتها أي ان الهدف منها هو الانتفاع ، والعروض بدورها تقسم الى عروض قنية (أصول ثابتة) وهي العروض التي تقتنى للاستعمال وغير معدة للبيع ، وعروض التجارة (أصول متداولة) وهي عروض معدة للبيع .

والأثمان أو النقود هي ما لا ينتفع بها وفي ذاتها مباشرة ، وانما هي مجرد مقياس للقيمة وواسطة للتبادل ، ومن ذلك يتبين أن الأثمان غرضها التعامل ، أما العروض غرضها الانتفاع ، والأصل في التعامل هو الذهب ثم أضيفت الفضة وبعد ذلك النقود الورقية(٦) .

ويرى الفقهاء المسلمون أن دين التجارة أو الدين الناتج عن بيع من ضمن عروض التجارة ، كما أن دين النقد أو الدين الناتج عن قرض يلحق بمجموعة النقود . ولا شك أن هذا التبويب يفيد في دراسة درجة السيولة في المشروع .

Money as a Tool of Exchange

المال أداة التبادل :

يرى رجال الفقه الاسلامي أن عملية المبادلة بين السلع من العسر بمكان ، ولا بد من الاتفاق على بدل متقارب تتفاوت أصنافه في القيم ، وأجود هذه الأنواع الذهب والفضة ، وأيسرها وأخفها تبادل الأوراق ، ولكن النقود الورقية ليس لها الأثر المعنوي التي تقدمه النقود الأصلية (الذهب والفضة) الا باعتبار ما يعادلها ويقول تعالى : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحراث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) (٧) .

والنقود هي وسيلة التبادل التي تمنع المساومة غير المتكافئة أو التبادل الذي يصحبه جهل أحد الطرفين أو كليهما ، وبالتالي فانها تؤدي الى ملافة

(٦) د٠ محمد سعيد عبد السلام ، محاضرات في نظم محاسبية في الاسلام ، كلية الاقتصاد والادارة ، جامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٠/١٤٠١ هـ .

(٧) آية ١٤ من سورة آل عمران .

ربا الفضل (ربا السنة) • ويوضح أهمية النقود في الاسلام ما رواه ابي سعيد الخدرى قال : جاء بلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر برنى (تمر جيد) فقال له رسول الله : من أين لك هذا ؟ قال بلال : كان عندنا تمر ردىء فبعته منه صاعين بصاع ليطعم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي : (أوه ، عين الربا ، لا تفعل ، ولكن اذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيع آخر ، ثم اشتر به) (٨) •

وفى هذا الحديث الشريف ، يأمرنا الرسول الكريم ببيع ما يظنه الفرد رديئا بنقود معدنية أو سلعة أخرى ، ثم يشتري بشفه ما أراد من النوع الجيد ، أى ادخال وسيط آخر للمبادلة لتقدير النسبة التى ينبغى أن يتم التبادل على أساسها ، وبعبارة أخرى ادخال وسيط يتوصل به البائع والمشتري الى نسبة عادلة للتبادل ، منعاً للغش أو الجهل الذى قد يحدث بين طرفى التبادل •

Price and Value

رابعا - الثمن والقيمة :

قيمة الشيء من وجهة نظر رجال الفقه الاسلامى تتحدد بواسطة القوى المؤثرة فى السوق ، وتقاس بالقيم التبادلية للأشياء ، أما ثمن السلعة أو الخدمة فهو تكلفة الحصول عليها سواء زاد عن القيمة أو نقص بالاضافة الى ما تحمله المشتري من نفقات فى سبيل الحصول عليها أو تحويل الخامة الى سلعة أو خدمة •

وبعبارة أخرى ، فان الثمن هو ما تراضى عليه المتعاقدان عند التبادل وقد يكون أقل أو أكثر من القيمة ، أما القيمة فتمثل ما يقوم به الشيء من غير زيادة أو نقصان وهذا هو تفسير قول ابن عابدين (فكأن الثمن تقدير بين اثنين فى حين أن القيمة هى ما تعارف عليه المتبادلان فى سوق عامة ، فالقيمة هى الحقيقة والثمن هو الفعل) (٩) ويطلق الفقهاء المسلمون كلمة (الثمن الأول) لتعبر عن تكلفة شراء السلعة •

(٨) رواه البخارى ومسلم •

(٩) محمود الفقى ، دراسة مقارنة لمفهوم الربح فى الاسلام ، رسالة ماجستير فى المحاسبة ، جامعة الأزهر ، ١٣٩٥ هـ •

المبحث الثاني

ملكية المال في الاسلام

Proprietorship (Ownership) In Islam

لا يعتبر المال في الاسلام ملكا الا اذا كان مصدره حلالا وأتى عن طريق مشروع ، واذا لم يكن كذلك فهو مال حرام لا يدخل في الملك ، كما لا يقبل الاسلام الا وضعه في مكانه المشروع ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (الدنيا خضرة حلوة ، من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه في حقه آتاه عليه وأورده جنته ، ومن اكتسب مالا من غير حله وأنفقه في غير حقه أصله الله دار الهوان ، وربما متخوض في مال الله ورسوله له النار يوم القيامة) (١) . فمن يجمع المال ويمتلكه ولا يضعه في محله بما يرضى الله ورسوله ، فهو في الآخرة من الخاسرين ، ويقول تعالى (ورحمة ربك خير مما يجمعون) (٢) .

اولا - تعريف الملكية في الاسلام : Definition of Ownership

عرف الشيخ محمد أبو زهرة الملك بأنه (اختصاص الأشياء بحاجز للغير عنه شرعا ، الذي تكون به القدرة على التصرف في الأشياء ابتداء ، الا لمانع يتعلق بالشخص) .

وعرفه الدكتور محمد يوسف موسى بأنه (حيازة الشيء متى كان الحائز له قادرا وحده على التصرف فيه والانتفاع به عند عدم المانع الشرعي) .

وقد عرفه الدكتور عبد السلام عبادى بأنه (اختصاص انسان بشيء يخول له شرعا والتصرف فيه وحده ابتداء ، الا لمانع) (٣) .

(١) محمد محمد بابل ، الاقتصاد في ضوء الشريعة الاسلامية ، بيروت ، ص ٨٦ ، والحديث رواه البخارى ومسلم .

(٢) آية ٣٢ من سورة الزخرف .

(٣) د عبد السلام داود عبادى ، الملكية في الشريعة الاسلامية ، الأردن ، جزء اول ،

١٩٧٤ ، صفحة ١٥١

وهذا يعنى أن الملكية هي علاقة شرعية بين الانسان والمال ، تجعله مختصا فيه اختصاصا يمنع غيره منه ، بحيث يمكن التصرف عند تحقيق اهليته بكل الطرق السائفة له شرعا .

ثانيا - أسباب الملكية : Reasons of Ownership

أسباب الملكية فى الاسلام ثلاثة هي :

(أ) أسباب منشئة Origin للملكية : لأن الشيء ليس له ملكية ثابتة من قبل ، مثل احراز الصيد والاستيلاء على المعادن والكنوز .

(ب) أسباب ناقلة Transporting للملكية : وذلك من حيز الى حيز آخر بموجب تصرفات ناقلة لتحقيق مقاصد معينة ، مثل الصداق (المهر) فى الزواج لتحل العشرة الزوجية .

(ج) الملكية بالخلافة Heirdom عن المالك : لانتقال الذمة المالية لشخص ميت الى أشخاص آخرين ويقسم هذا النوع الى قسمين :

- ١ - الخلافة بإرادة المتوفى مثل الوصية والهبة .
- ٢ - الخلافة بحكم من الشارع وهذا فى المواريث(٤) .

ثالثا - ملكية المال الحقيقية لله سبحانه وتعالى :

The Real Ownership is to God, Praise and Glory Be To Him

المال لله سبحانه وتعالى فهو يقول (لله ما فى السموات وما فى الأرض) (٥) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ليس لك من مالك الا ما اكلت فأنيت ، او لبست فابلت ، او تصدقت فابقيت) ، ويترتب على أن المال لله ما يلى :

- ١ - للانسان على المال ملك المنفعة Utility فقط ، وليس لأحد أن يتملك المال ملكية تامة أبدية .

(٤) الشيخ محمد أبو زهرة - أحكام الشركات والمواريث ، القاهرة ١٩٦٣ ص ٥ - ٦ .

(٥) آية ٢٨٤ من سورة البقرة .

- ٢٣ -

- ٢ - يبيح الاسلام للانسان حرية الحيازة Possession المنظمة للمال الى غير حد .
- ٢ - للجماعة أن تنظم regulation طريقة الانتفاع بالمال عن طريق الحكام ، لأن المال له منفعة جماعية .
- ٤ - للحاكم أخذ المال من صاحبه Confiscation اذا أساء استعماله أو اذا ظهر أنه امتلك بطريقة غير مشروعة .

رابعاً - الانسان مستخلف في مال الله :

The Human Being is an agent and inheritor of Substance

استخلف الله سبحانه وتعالى الانسان في ماله ، أى جعله حارساً له ، فيقول عز من قائل (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) (٦) ، (جعلكم مستخلفين فيه) (٧) .

ويترتب على ذلك ما يلى :

- ١ - يجوز لمالك المنفعة أن ينقلها الى غيره . Transfer
- ٢ - يبيح الاسلام أن يظل المال مع الفرد لمدة أقصاها حتى وفاته . Possess until Death
- ٣ - ليس للفرد تعطيل الانتفاع بالمال لأن فيه اضرار بالجماعة . Must Invest

خامساً - تفسير حق الانتفاع بالمال Right of Benefit :

يفسر بعض الفقهاء المسلمين (٨) معنى منفعة المال باستخدامه فى الأمور التالية :

- ١ - الاستغلال مثل استصلاح الأراضى والزراعة . Exploitation
- ٢ - الاستثمار مثل الصناعة والتجارة والنقود . Investment
- ٣ - الاستهلاك مثل الطعام والملبس . Consumption
- ٤ - التصرف مثل البيع والهبة . Disposition

(٦) آية ٣٣ من سورة النور .

(٧) آية ٧ من سورة الحديد .

(٨) عبد القارود عودة ، المال والحكم فى الاسلام ، جده ، ١٩٦٩ ، صفحة ٤٦ .

سادسا - أنواع الملكية Kinds of Ownership :

تنقسم الملكية فى الاسلام الى ثلاثة أنواع وهى :

١ - ملكية فردية Private Ownership : أقر الاسلام نظام الملكية الفردية لا على أساس التعسف بل على أساس العدل ، فالملكية الفردية حق فردى روعيت فيه مصلحة الجماعة وروعى فيه كيفية وحسن تصرف الفرد فيما استخلفه الله فيه ، وعلى هذا فانه يجب مراعاة حق الجماعة وأمانة الانسان ، وعدم الاستغلال ، مثل الظلم والتطيف والربا ، ويقول **لازبني** - أحد المستشرقين الماركسيين - (ان التراث الانسانى فى الاسلام هو فى حمايته للأفراد من الظلم الاجتماعى^(٩))

٢ - ملكية عامة Public Ownership : وهى ملكية المسلمين للمال فى الزمن الحاضر والمستقبل ، مثل الأنهار الكبيرة ، فهى مملوكة للمجتمع ، وعلى الأفراد والحاكم المحافظة عليها لصالح الجماعة ، ويقول الرسول (صلى الله عليه سلم) (**لا حرمى الا لله ولرسوله**) أى أنه لا يجوز للأفراد أن يستخدموا نفوذهم فى الاستيلاء على أموال عامة^(١٠) .

٣ - ملكية مشتركة Joint Ownership : وهى التى يمتلكها فئة معينة من الأفراد مثل اشتراك أهل قرية فى مرعى معين لمواشيهم ، فهذه الأرض مملوكة اليهم ملكية مشاعة ، وليس للجماعات الأخرى أية ملكية فيها ، ومثل القنوات المسالية الصغيرة التى يمتلكها أفراد معينون فهى ليست ملكية عامة وليست ملكية فردية .

سابعا - تنظيم ملكية المال Regulation of Money Proprietorship

أمر الاسلام ببعض القواعد فى شأن تنظيم ملكية المال نذكر منها ما يلى :

(٩) د- محمد عبد المولى ، أنظمة الدولة والمجتمع فى الاسلام ، تونس ، ١٩٧٣ ، صفحة ٥٥ .

(١٠) محمد المبارك ، الثقافة الاسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز - جدة - ١٣٩٨ هـ ، صفحة ٢١٨ ، والحديث أخرجه أحمد بن حنبل .

١ - النهى عن الاكتناز stinginess ويقول تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب آليم) (١١) .
وقد تبين أضرار ظاهرة الاكتناز في الحياة العامة ، ويقول رجال الاقتصاد المعاصرون ان الاكتناز حاجز للحركة الاقتصادية ولدوران رأس المال .

٢ - النهى عن الاسراف extravagance والتقتير miserliness :
ويأمر الاسلام بالاعتدال في الانفاق فيقول تعالى : (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) (١٢) .

٣ - عدم تعطيل الأرض uncultivate الصالحة للزراعة أو الأرض التي أحيائها الانسان وتمكن من حيازتها ثم توقف عن زراعتها .

٤ - سداد الواجبات المستحقة indispensable expenses عن حق ملكية المال مثل الزكاة والانفاق على الزوجة والابناء الصغار والآباء الكهول والأقارب الفقراء ، بالإضافة الى المبالغ الأخرى التي يحددها الوالى مقابل الخدمات التي تقدمها الدولة .

٥ - احترام respectableness ملكية المال : وقد جعلت الشريعة الاسلامية احترام ملكية المال من المقاصد الحمسة التي يجب الحفاظ عليها ورعايتها ، وهذه المقاصد هي (الدين والنفوس والعقل والعرض والمال) ويقول الرسول الكريم (كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه) (١٣) .

٦ - النهى عن الطرق غير المشروعة unlawful methods لكسب الملكية :
ويأمر الاسلام بتجنب أخذ مال الغير بالاغتصاب أو الرشوة أو الربا أو القمار ، ويقول تعالى (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) (١٤) .

(١١) آية ٣٤ من سورة التوبة .

(١٢) آية ٦٧ من سورة الفرقان .

(١٣) د. أحمد محمد السعال ، د. أحمد فتحي عبد الكريم ، النظام الاقتصادي في

الاسلام - القاهرة - ١٩٧٨ ، صفحة ٤٦ - ٤٨ ، والحديث رواه الترمذى .

(١٤) آية ٩٠ من سورة المائدة .

٧ - الكمال الأخلاقي Perfect Morality : نظم الاسلام حق الملكية لتلائم طغيان المال على نفسية صاحبه واستبداده به فيقول تعالى (كلا ، ان الانسان ليطغى ، ان رآه استغنى) (١٥) . ومنعا لانتشار الفقر وآثاره المدمرة ، ولهذا فان الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يستعيز من الفقر بقوله (اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر) .

٨ - السعى على الرزق earning : يأمرنا الاسلام بالسعى على الرزق فى سبيل الكسب الحلال بغير حدود مع اعطاء حقوق الله سبحانه وتعالى فيه . فيقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) (نعم المال الصالح للرجل الصالح) .

٩ - توازن balance (equilibrium) المصلحة العامة مع المصلحة الشخصية : ويأمر الاسلام بالمحافظة على أموال الغير وعدم اضرارهم فى سبيل المصلحة الشخصية ، فيقول تعالى : (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) (١٦) وفى الحديث الشريف (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدائها الله عنه ، ومن أخذها يريد اتلافها اتلفه الله) (١٧) .

ورغم أن الاسلام يحترم الملكية الفردية للأموال فانه يطالب أصحاب الأموال بأن يوجهوا أموالهم الى الطريق الذى يخدم صالح المجتمع (ولا تؤنوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما) (١٨) ، لأن الاسلام يعتبر أن المصالح العامة مقدمة على المصالح الخاصة تنفيذا للمبدأ الفقهي (درء المفسد مقدم على جلب المصالح) (١٩) .

ويحافظ الاسلام على حماية أمن الجماعة ومصالحها العليا فى ضوء تصرفات ملكية الأفراد ، فيقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى بيان أهمية المصلحة العامة (ان قوما ركبوا فى سفينة فاققسموا فصار لكل منهم

(١٥) آية ٦ ، ٧ من سورة العلق -

(١٦) آية ٨٥ من سورة الاعراف .

(١٧) رواه ابن عباس .

(١٨) آية ٥ من سورة النساء .

(١٩) د . محمد فاروق النبهان . الاتجاه الجماعى فى التشريع الاقتصادى الاسلامى ،

القاهرة - ١٩٧٥ - صفحة ٢٧ .

- ٢٧ -

موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس ، فقالوا له : ما تصنع ؟ قال :
هو مكاني أصنع فيه ما أشاء ، فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه
هلك وهلكوا (٢٠) .

ان الاسلام فى تحقيق التوازن بين المصالح الفردية والجماعية يختلف
عن الرأسمالية التى تجعل ملكية الفرد تطفى على ملكية الجماعة ، كما يختلف
عن الشيوعية التى تجعل ملكية الجماعة هدفا أساسيا وبالتالي ظلم الفرد وأخذ
حقوقه المشروعة (صيغة الله ، ومن أحسن الله صيغة ، ونحن له
عابسون) (٢١) .

(٢٠) رواه البخارى

(٢١) آية ١٢٨ من سورة البقرة

المبحث الثالث

دأس المال فى الاسلام

Capital In Islam

الاسلام لم يحتقر المال ، ولم يدع الى تركه بل يحض على السعى لجمعه ، وفى ذلك يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) (لأن تدع أبنائك أغنياء خير لك من أن تدعهم عائلة يتكفون الناس) وأطلق الله سبحانه وتعالى كلمة (الخير) بدلا من (المال) فى مناسبات عديدة اذا استخدم هذا المال فى وجوه البر مثل (كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت أن ترك خيرا ، الوصية للوالدين والأقربين) (١) .

ويتبغى ألا يشغل الانسان بالمال عن ربه ودينه لأن الحياة أغلى من الثروة واننا محاسبون بعدها حسابا دقيقا وسيترك المال الى غيرنا ، ويقول تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) (٢) .

أولا - المال جزء من الثروة :

الاسلام هو أول تشريع على الأرض يقدم نظرية متكاملة للاقتصاد لم يستطع ولن يستطيع أن يحيط بشمولها أى نظام اقتصاد وضعى ، فالنظريات الحالية لا تخرج عن دائرة الانتاج والخدمة ، ويعرف آدم سميث الثروة بأنها السلع المادية فقط ، ويشترط أن يكون لهذه السلع قيمة تبادلية لكي تصبح ثروة فى رأيه ، أما الثروة فى النظام الشيوعى فهى العمل فقط باعتباره وحده مصدر القيمة .

والثروة فى الاسلام هى كل ما يحقق للانسان منفعة مشروعة مادية أو معنوية فى دنياه وآخرته ، وبذلك فان الثروة تشمل السلع المادية

(١) آية ١٨٠ من سورة البقرة .

(٢) آية ٤٦ من سورة الكهف .

والخدمات بالإضافة الى المهارات والكفايات والمعنويات ، فيقول تعالى (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى) (٣) ، أى أن الثروة تتضمن المتاع (السلع والخدمات) مضافا اليها (المتاع المعنوى) مثل النياشين والألقاب والمواكب الرسمية(٤) وكذلك حقوق الاختراع والتأليف والعلامات التجارية والشهرة وغيرها ، حتى الكلمة الطيبة تعتبر ثروة فيقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) (على كل مسلم صدقة ، فقالوا : يا نبي الله فمن لم يجد ، فقال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، فقالوا : فإن لم يجد ، قال : فليعمل بالمعروف وبمسك عن الشر فإنها له صدقة) (٥) ، وهذا له أثر كبير فى دفع عجلة الانتاج .

ثانيا - كنز وادخار المال

Stinginess (Treasure-trove) and Money Saving

ويعتمد الاسلام على مبدأ النمط الأوسط(٦) ، أو مبدأ الاعتدال والتوسط ، فالاسلام يحرم الاسراف لأنه يهدر الأموال فى السلع الاستهلاكية مما يعرض أموال المجتمع للضياع فيقول تعالى (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) (٧) .

ومن ناحية أخرى ، فان الاسلام يحرم الكنز لأنه يمنع المال من استغلاله فى الأنشطة التجارية لخدمة المجتمع ، مما يقلل من اتاحة فرص العمل ويخفض القوة الشرائية للمجتمع ، ويقول سبحانه وتعالى (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعباب آليم) (٨) .

والاسلام يحارب البخل أى جمع المال بالطرق المشروعة ثم حفظه دون استغلال لأن ذلك يوقف دوران الثروة ويعدم الاتزان فى توزيعها بين أفراد المجتمع ، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام (من جمع دينارا أو تبرا

(٣) آية ٦٠ من سورة القصص .

(٤) عبد السميع المصرى ، مقومات الاقتصاد الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٣ .

(٥) حمزة الجيبى ، الاقتصاد فى الاسلام ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، صفحة ٢٥٣ ، والحديث

رواه البخارى .

(٦) د. محمد كمال عطية ، التكاليف والتسعير فى الفكر الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٧٧

صفحة ٧ .

(٧) آية ٢٧ من سورة الاسراء .

(٨) آية ٣٤ من سورة التوبة .

أو فضة ولا ينفقه في سبيل الله فهو كنز يَكُوى به يوم القيامة) ويقصد بالانفاق في سبيل الله أى في سبيل تنمية المجتمع ونفع المواطنين(٩) .

ان زيادة المال في أيدي بعض الناس يؤدي الى التضخم النقدي وارتفاع الأسعار لأن السلع المعروضة تكون أقل من النقود ، ولذلك فانه يحسن توجيهها الى الاستثمار لصالح الأفراد والمجتمع ، لأن تشغيل الأموال في المشروعات المختلفة يخلق فرص العمل ويرفع مستوى المعيشة فى المجتمع .

والنقود تجب فيها الزكاة ولو كانت مدخرة فى الخزائن والمصارف لأنها تعتبر نامية بقوتها الذاتية ، ولذلك فانه ينبغي تنميتها بالفعل وذلك باستثمارها حتى لا تأكلها الزكاة ، وحتى أموال القاصر أو اليتيم فان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول (**اتجروا فى مال اليتيم حتى لا تأكله الزكاة**) .

ويختلف اكتناز المال عن ادخار المال ، ويعرف الفقهاء الادخار بأنه كل ما زاد عن الحاجة ودفع عنه زكاة ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) (**ما أدى زكاته فليس بكنز**) . والاسلام لا يحرم أن يدخر الفرد بعض ماله ويمسك الزيادة بين كسبه الطيب وانفاقه المعتدل ، ويؤمن الباقي لمواجهة احتمالات المستقبل ، ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) (**لا عليك أن تمسك بعض مالك فان لهذا الأمر عدة**) ويقول أيضا (**رحم الله امرؤا اكتسب طيبا ، وانفق قصدا ، وقدم فضلا ليوم فقره وحاجته**) .

وبعد نزول الآية الكريمة (**والذين يكنزون الذهب والفضة**) أشكل على صحابة رسول الله أمر المال الذى أدت زكاته هل يسمى كنز أم لا ، ويقول ابن عمر فى هذا الخصوص (**ما أدى زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين ، وكل ما أم تؤد زكاته فهو كنز وان كان فوق الأرض**) (١٠) .

ويجب أن يوجه ما بقى من المال بعد حق الله والناس فيه الى الاستثمار لأن المال قوة يجب أن تعمل فى الحياة ، وذلك بإنشاء المصانع

(٩) د. محمد شوقي الفنجري ، مجلة الاقتصاد والادارة ، جامعة الملك عبد العزيز ، محرم ١٣٩٧ ، صفحة ١٦٧ ، والحديث رواه أحمد بن حنبل .
(١٠) د. شوقي إسماعيل شحاته ، البنوك الاسلامية ، جدة ١٩٧٧ ، صفحة ١١٧ - ١٢٠ .
نقلا عن : الجامع لأحكام القرآن للامام القرطبي .

والعمائر مما يساعد على ازدهار ورفاهية المجتمع ، ونماء وثروة الأمة ومضاعفة قوتها .

ان المال الذى يمسكه صاحبه ويخترنه يشبه الأرض الطيبة التى يتركها صاحبها بورا ، ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) (من كان له أرض فيزرعها أو يزرعها أخاه والا فليمسكها) ومن اللازم أن المال الفائض يجب أن يتركه صاحبه لكي يستثمره غيره حتى ينتفع الناس بهذه النعمة مما يؤدي الى توفير الرفاهية والرخاء للجميع .

والاكتناز على المستوى الحكومى يضر الاقتصاد القومى أسوة بالاقتصاد الفردى ، وقد ورد ذلك فى الخطاب الذى أرسله طاهر بن الحسين لابنه عبد الله ابن طاهر لما ولاه المأمون مصر ، ومن هذا الخطاب ما يلى :

(واعلم أن الأموال اذا كُنزت وادخرت فى الخزائن لا تنمو ، واذا كانت فى صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف الأذى عنهم نمت وزكت) .

ويقول ابن خلدون فى هذا الشأن أيضا :

(المال متردد بين الرعية والسلطان ، منهم اليه ومنه اليهم ، فاذا حبسه السلطان عنده فقدته الرعية ، سنة الله فى عباده) (١١) .

وبلا شك ان فريضة الزكاة تقوم بوظيفة اقتصادية هامة فى المجتمع بما تتيحه من قوة شرائية للانفاق على الاستهلاك على السلع والخدمات ، وهذا يعمل على توسيع التيار النقدي ودعم الدورة النقدية وعلى تحقيق تناسب ملائم بين التيار السلعي والتيار النقدي (١٢) .

وحيث ان فائدة رأس المال محرمة شرعا ، فان تكاليف حبس المال وهى زكاته لا تعوضها أية زيادة ، مما يؤدي الى نقص رأس المال ، بما يضر الفرد والجماعة ، ولذلك فان الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يحث

(١١) د. شوقي اسماعيل شحاته ، المرجع السابق ، صفحة ١٢٠ - ١٢٩ ، نقلًا عن

مقدمة ابن خلدون ، صفحة ٢٥٦ .

(١٢) المرجع السابق ، صفحة ١٣٠ .

المسلمين على استثمار الأموال المدخرة ، وكان سيدنا عمر بن الخطاب ينصح المسلمين بالادخار من عطائهم واستثماره فان لهم بذلك اجر (١٣) .

والخلاصة فان مفهوم الكنز فى الفقه الاسلامى هو حبس المال ومنع الزكاة ، اما الادخار فهو تجنب جزء من المال الزائد بعد دفع الزكاة ، والاستثمار هو تشغيل الاموال المدخرة للمصالح العام . واذا أمسك الفرد بعض ماله سائلا ودفع عنه الزكاة فهو ليس بكنز .

والاسلام يحرم الكنز ولا يمنع الادخار ، ولكنه يحث على انفاق الاموال المدخرة فى سبيل مصالح المسلمين ، ويؤكد ذلك الرسول الكريم فى قوله (اتجروا فى مال اليتيم حتى لا تأكله الزكاة) .

ثالثا - مفهوم رأس المال :

Concept of Capital

رأس المال فى الفكر الاسلامى تعبير يقصد به (أصل المال) ، وهو يمثل ذلك الجزء من الثروة التى تخصص للتجارة عند بداية المشروع ، اما الأموال المستثمرة فى المشروع فتعرف فى مراجع الفقهاء المسلمين (مال التجارة) وهو مفهوم أوسع من مفهوم رأس المال ، لأنه يمثل اجمالى الموجودات المستثمرة فى المشروع ، أو بعبارة أخرى رأس المال فى نظر رجال الادارة فى الفكر المعاصر .

والاسلام يعتبر أنه لا فضل (ربح) الا اذا كان أصل المال (رأس المال) سليما ، ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) (مثل المؤمن مثل التاجر ، لا يسلم له ربح حتى يسلم رأس ماله ، كذلك المؤمن لا تسلم له نوافله حتى تسلم له عزائمه) (١٤) .

ويميل معظم الفقهاء المسلمين أن يقصروا رأس المال فى بداية المشروع على الشكل النقدي ، وأنه يجب عدم المغالاة فى تحديد قيمة رأس مال المشروع الا بما يفي بتحقيق أغراضه فقط ، وهذا يعود الى ضرورة الوفاء بما عليه من التزامات والمحافظة على سلامة رأس المال الحقيقى حرصا على أموال الغير .

(١٣) المرجع السابق ، صفحة ١٢٣ .

(١٤) د. شوقي اسماعيل شحاته ، المرجع السابق ، صفحة ٩٤ نقلا عن : ابو بكر

الكاسانى ، بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ، ١٩١٠ ، الجزء السادس .

وفى الفقه الاسلامى يجب أن يكون رأس المال مدفوعا بالكامل ولا يكون بعضه مستحقا فى ذمة أصحاب المشروع كما هو متبع فى الفكر المحاسبى المعاصر(١٥) .

وتتفق المذاهب الأربعة فى أن الربح وقاية لرأس المال وأنه لا توزيع على أصحاب المشروع الا بعد المحافظة على رأس المال الحقيقى . وفى سبيل ذلك يجب اعداد الاهلاك على أساس القيمة الحالية للأصول الثابتة ، أما الأصول المتداولة فانه على الرغم من تقويمها بالقيمة الجارية واتباع مبدأ الانتاج بدلا من مبدأ البيع فى تقدير الربح الخاضع للزكاة ، فانه يجب قصر الأرباح الموزعة على أرباح البيع فقط أو بعبارة أخرى تقويم المخزون السلمى بسعر البيع عند تقدير الزكاة ، وتقويمه بسعر التكلفة عند تقدير الأرباح الموزعة .

وفى الفكر الاسلامى أيضا ينبغى مراعاة جميع الحسائر المتوقعة . أو قسمة صافى الربح الى ربح محتجز فى شكل احتياطات مختلفة و ربح موزع . ويؤكد ذلك الامام الزيلعى فى كتابه (تبين الحقائق فى شرح كنز الدقائق) ويقول (الربح تابع ورأس المال أصل ، فلا يسلم الربح بدون سلامة رأس المال) (١٦) .

والربح فى الفكر الاسلامى المحاسبى يمثل نماء عروض التجارة (الأصول المتداولة) أما نماء عروض الفنية (الأصول الثابتة) فانه يسمى (فائدة) أى أموالا مستفادة دون بذل مجهودات مقابل الحصول عليها ، وانما حدثت نتيجة حيازة واقتناء هذه الأصول ، وبالتالي فلا يجوز توزيعها .

والخلاصة ان رأس المال - فى الفكر الاسلامى - يمثل قيمة الأموال التى يقدمها صاحب المشروع أو أصحابه فى بداية حياته ، مع مراعاة أية اضافات أو تخفيضات تطرأ عليه خلال الفترات المالية المتتالية . ويشترط أن تكون حصص الشركاء مدفوعة بالكامل ، أى أن يكون رأس المال كله حاضرا ولا يبق شئ فى الذمة ، ولا يجوز توزيع الأرباح الناتجة الا بعد سلامة رأس المال الحقيقى .

(١٥) د. شوقى اسماعيل شحاته ، المرجع السابق ، صفحة ٥٨ ، نقلا عن : أحمد تمام

سالم ، المحافظة على رأس المال ، رسالة ماجستير ، جامعة الأزهر ١٣٩٥ هـ .

(١٦) د. شوقى اسماعيل شحاته ، المرجع السابق ، صفحة ٨٤ .

رابعاً - مخاطرة رأس المال : Capital Risk

يقرر الاسلام وجود تفاوت بين المشروعات المختلفة فى تحصيل الأرباح ، وأن هذا التفاوت يرجع الى اختلاف عناصر التقليل (دوران البضاعة) فى كل منها والمدة التى لا بد منها للتمكن من التقليل ، كما يرجع الى اختلاف عناصر المخاطرة ، فهناك عاملان يؤديان الى هذا التفاوت وهما عامل التقليل والمخاطرة ، وذهب الامام القرطبي (١٧) الى تقسيم التجارة الى نوعين :

النوع الأول : تكاد تكون المخاطرة فيه معدومة ، ويوجد فيه عامل فعال وهو التقليل .

النوع الثانى : يوجد فيه عاملان فعالان هما التقليل والمخاطرة أثناء عملية الشراء والبيع للتجارة .

ويستطرد الامام القرطبي فيقول (ان التقليل نوعين الأول تقليل فى الحضر من غير نقله ولا سفر ، وهذا تربص واحتكار قد رغب عنه اولو الأقدار وزهد فيه ذوو الأخطار .

والنوع الثانى تقليل المال بالأسفار ونقله الى الأمصار ، وهذا اليق باهل المروءة وأعم جدوى ومنفعة غير أنه أكثر خطراً وأعظم غدراً) .

وعلى التاجر المسلم ألا يغالى فى الربح ، لأن الربح الفاحش فيه غبن على أخيه ، وعلى ذلك يقول الامام الغزالي فى كتابه (احياء علوم الدين) ان نسبة الربح يجب ألا تزيد عن ثلث الثمن أو ثلث التكلفة ، ولذلك يرى العلماء المسلمون أن الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الحيار ، بينما يوصى الفقهاء ألا يسترسل التاجر فى الغبن ولو رضى المشتري ، لأن هذا المشتري قد أمن له ، وفى حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) (غبن المسترسل وباً) ويقصد بالمسترسل الشخص الذى آمنك .

(١٧) د شوقى اسماعيل شحاته ، نظم محاسبية فى الاسلام ، جامعة الملك عبد العزيز ، ١٣٩٧ هـ ، صفحة ٢٤١ ، نقل عن: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، الجزء الخامس ، صفحة ٢٩٠ .

وحيث ان التجارة في الاسلام (فرض كفاية) أى أن تركها بصفة جماعية حرام وتعتبر الجماعة كلها آئمة ، فان الهدف الأساسى منها ليس هو تحقيق الربح فحسب انما الهدف منها هو تقريب السلع لطالبيها حسب ضرورتهم ، والسعى لتحقيق رزق حلال للتاجر وأسرته ، والقصد العام مقدم عن القصد الخاص فى الشريعة الاسلامية .

خامسا - دوران رأس المال :

ينول الامام الطبرى (١٨) فى تفسير قوله تعالى (فما وبحت تجارتهم) (١٩) ان الربح يتحدد بالقيمة التبادلية للمنتجات ، ويكون المقابل النقدي الذى يتم الحصول عليه أكبر من التكاليف التى بذلت فى سبيله ، والربح يخضع لفريضة الزكاة بمجرد امكان قياسه ، اما تحقيق الايراد بالبيع - من وجهة نظر رجال الفقه الاسلامى - ضرورة لامكان توزيع الأرباح بين الشركاء .

ويقول ابن خلدون (٢٠) ان الربح بالنسبة لأصل المال يجب أن يكون نادر بسيط لأن المال ان كثر عظم الربح ، لأن القليل فى الكثير كثير ، وينبه ابن خلدون الى أن ارتفاع الأسعار يقلل من دوران رأس المال ، كما أن انخفاض الأسعار يجحف بمعاش المحترفين ، انما معاش الناس وكسبهم فى التوسط بين ذلك ، وسرعة حوالة الأسواق ، وعلم ذلك يرجع الى العوائد المقررة من أهل العمران ، وهذا يبين أن الفقهاء المسلمين عرفوا معدل دوران رأس المال منذ أكثر من ستة قرون قبل أن تعرفه أوروبا بعدة قرون .

سادسا - تغير القوة الشرائية للنقود :

جميع عناصر النفقات - فى الفكر الاسلامى - يجب تقويمها على أساس القيمة السوقية وقت الاستخدام ، وهذا اعتراف بوجود تقلبات مستمرة

(١٨) الطبرى ، جامع البيان فى تفسير القرآن ، سورة البقرة ، صفحة ١٣٩

(١٩) سورة البقرة - آية ١٦ .

(٢٠) دد غريب الجمال ، النشاط الاقتصادى فى ضوء الشريعة الاسلامية ، دار الشروق

١٣٩٨ هـ ، صفحة ١١ ، نقل عن : مقدمة ابن خلدون ، ٧٨٤ هـ ، والتي نقل عنها آدم سمث

كتابه (ثروة الأمم) .

تتغير فيها مستويات الأسعار ، وتتغير فيها وحدة النقد التي هي أداة لقياس القيمة ، وبذلك يتم التعبير عن قوائم نتائج النشاط والمراكز المالية لها بوحدات نقد ذات قوة شرائية جديدة .

وبينما تتجاهل المحاسبة الحديثة ظاهرة اقتصادية حقيقية وهي ظاهرة تقلبات مستوى الأسعار ، وتتغير فيها وحدة النقد التي هي أداة لقياس القيمة ، ونتج عن ذلك ضالة معنى قائمة الربح وقائمة المركز المالي في السنة الواحدة بسبب التعبير عن مفرداتها بوحدات نقود متباينة ، وصعوبة مقارنة نتائج النشاط المختلفة في السنة الواحدة وفي السنوات المتتابعة . وذلك بسبب عدم تماثل وحدة النقد التي تتخذ أساسا للقياس وازدياد اختلافاتها وتباينها على مر السنين(٢١) ، فإن الفكر الاسلامي يعالج هذه المشكلة طبقا لآراء الاقتصاديين المحدثين .

سابعاً - ثروة الأرض وما في باطنها : Land

اجتهد فقهاء المسلمين في تبويب أراضى الدولة الاسلامية حسب أصل حيازتها كالاتى :

١ - الأراضى التى أسلم من عليها ، وحكمها انها تبقى فى أيدي أصحابها ملكا لهم ، ويدفعون عنها العشر مثل المدينة المنورة والطائف واليمن والبحرين .

٢ - الأراضى التى صالح أهلها عليها دون أن يدخلوا فى الاسلام ، ومنهم أهل ذمة ، ويتركون فى أراضيتهم ، ويدفعون للدولة الاسلامية الجزية والحراج مثل نجران .

٣ - الأراضى التى لا مالك لها وهى اما أرض فوات أو تركها أهلها بالحرب (مثل أرض كسرى) وكانت تمنح للمسلمين لاصلاحها والأسبقية للسابقين فى الاسلام .

٤ - الأراضى التى افتتحها المسلمون عنوة بعد أن دافع عنها أصحابها بشدة حتى غلبوا على أمرهم ، وقد وردت فيها معاملات ثلاثة :

(٢١) د. غيرت ضيف ، تحديد الربح فى فترات التضخم والانكماش - الاسكندرية ١٩٥٨ ، ص ٣ .

- ٢٧ -

- (أ) في مكة اعتبرت أراضي عشيرية .
- (ب) في خيبر اعتبرت أرض مزارعة بالحمس .
- (ج) في مصر جعلت ملكية جماعية تدفع الخراج (٢٢) .

وأباح الاسلام أن يعطى الوالى أرضا للمحتاجين لاصلاحها وتعميرها واستغلالها بالطرق المشروعة ، على أن يتم ذلك خلال فترة معينة والا نزعته منه ، ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) (من أحبب أرضا ميتة فهي له) ويشترط الفقهاء المسلمون أن تكون هذه الأرض غير مملوكة لأحد ، وأن لا تكون من المرافق التى يحتاجها المجتمع ، وألا يكون فيها معدن من المعادن التى ينتفع بها الناس(٢٣) .

أما المعادن Mines فهي جواهر الأرض من ذهب وفضة وحديد وغيرها ، وقد قسم الفقهاء هذه المعادن الى نوعين :

- (أ) معادن ظاهرة visible وهى التى لا يحتاج تحصيلها الى جهد .
- (ب) معادن باطنة invisible وهى التى يحتاج استخراجها الى جهد ومؤن .

وقد اتفق العلماء على أن المعادن التى تظهر فى الأراضى المملوكة للحكومة الاسلامية ، تسلم إيراداتها الى بيت المال وينظر فيها الامام لصالح المسلمين . أما المعادن الباطنة التى تظهر فى الأراضى المملوكة لبعض المسلمين فهي لا تتبع الأرض التى هى فيها بل تسلم الى بيت المال . أما المعادن الظاهرة التى تظهر فى أراضى غير تابعة لبيت المال ومملوكة بالحيازة لبعض المسلمين فقد اختلف الفقهاء فى مقدار الواجب منها لبيت المال(٢٤) .

(٢٢) د محمد فاروق النبهان ، الاتجاه الجماعى فى التشريع الاقتصادى الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٧٠ - صفحة ٢٢١ .

(٢٣) الشيخ أحمد الشرباصى ، الاسلام والاقتصاد ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١٨٧ .

(٢٤) د عبد السلام داود العبادى ، الملكية فى الشريعة الاسلامية ، عمان ، ص ٣٤٦ .

المبحث الرابع

بيت المال

State Treasury

ان الدراسات التاريخية عن حياة الامم أصبحت من الأمور المسلم بها في دفع حضارتها وتقدمها ، وانه من الواجب أن ندرس النظام المالى للحكومة الاسلامية العظمى في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين والحكومات الاسلامية المتعاقبة .

وهذا يدعونا الى دراسة بيت المال الذى يشبه وزارة الخزانة فى العهد الحالى ، وكان صاحب بيت المال يمثل وزير الخزانة . وبيت المال هو المكان المخصص لحفظ ما تملكه الدولة من أموال ، وتقوم بانفاقه فى مصارفها الشرعية مع موازنة الايرادات بالمصروفات .

أولا - نشأة بيت المال :

لم يعرف بيت المال فى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولا فى عصر أبى بكر رضى الله عنه ، اذ كانت الأموال تحفظ فى بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكانت الموارد المالية توزع لمستحقيها فى يومها أو فى اليوم التالى ، خصوصا اذا كانت الموارد من الناطق مثل الابل والغنم والحيل .

ومنذ غزوة بدر أصبح مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو المكان الذى يتفق فيه على جمع الغنائم وصرف هذه الموارد تطبيقا لأحكام القرآن الكريم بحيث لا يبقى شيء يوضع فى بيت المال ، واذا بقى شيء فكان يحفظ فى بيت الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى يتم توزيعه فى اليوم التالى ، واستمر الحال كذلك فى عهد أبى بكر الصديق وشطر من خلافة عمر بن الخطاب حيث ظل المسجد هو المكان الذى يحمل اليه المال والمتاع من معانم الحروب والزكاة ، ويقسم على المسلمين طبقا للشريعة الاسلامية . وعندما اتسعت الفتوحات فى أواخر عهد عمر بن الخطاب وكثرت الأموال الواردة من الشام والعراق ومصر ، أمر بانشاء بيت المال بغرض حفظ

وصيانة الأموال والتصرف فيها طبقا لمصارفها المختلفة واثبات حقوق المسلمين فيها ، وكان بذلك يشبه وزارة الخزانة فى الوقت الحاضر .

وأنشئ بيت المال على هيئة دواوين فأنشئ ديوان الخراج ثم ديوان العطاء للمقاتلة (الجنود) ثم ديوان فى كل ولاية ثم اكتمل بيت المال (١) .

ولعل من أهم أسباب تأخر انشاء بيت المال فى الدولة الاسلامية ان الموارد كانت قليلة فى بدء تكوين الدولة ، وكانت سياسة الرسول (صلى الله عليه وسلم) تقضى بتوزيع الإيرادات تو ورودها خاصة وأن بعض الموارد كانت حية ، كما يقول ابن تيمية (لم يكن للأموال المقبوضة والمقسومة ديوان جامع على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبى بكر رضى الله عنه ، بل يقسم المال شيئا فشيئا) (٢) .

ثانيا - تنظيم بيت المال : Regulation of Public Treasury

يقضى النظام الاسلامى أن يكون للزكاة حسابات خاصة وحصيلة قائمة بذاتها ينفق منها على مصارفها الخاصة المحددة فى القرآن الكريم ، ومن هذه المصارف أن العاملين على تحصيلها يأخذون رواتبهم منها ، ولذلك جعل المسلمون بيت مال خاص بالزكاة منذ فرضها على المسلمين .

ويقسم بيت المال على دواوين مختلفة منها :

١ - بيت المال الخاص بالصدقات وعشور الأراضى وما يأخذه الوالى من تجار المسلمين .

٢ - بيت المال الخاص بالجزية والخراج وتسمى الجزية أحيانا (خراج الرأس) .

٣ - بيت المال الخاص بالغنائم والركاز .

٤ - بيت المال الخاص بالضوائع وهى الأموال التى لا يعرف مالکها .

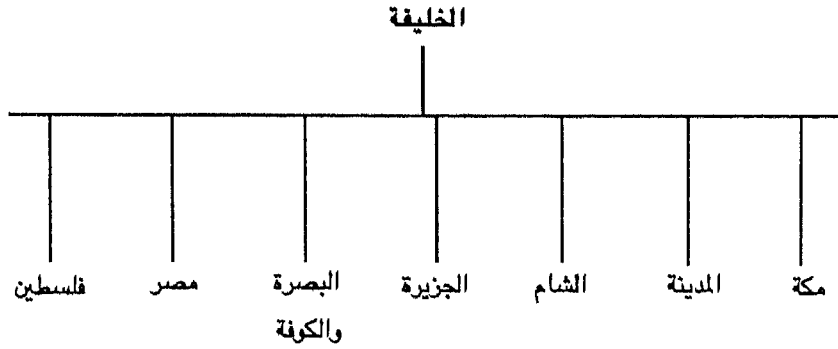
(١) د. محمود على ، نظام الحكم الاسلامى بالمقارنة بالنظم المعاصرة ، القاهرة ١٩٧٠ ، صفحة ٣٠٣ .

(٢) السياسة الشرعية لابن تيمية ، صفحة ١٩ .

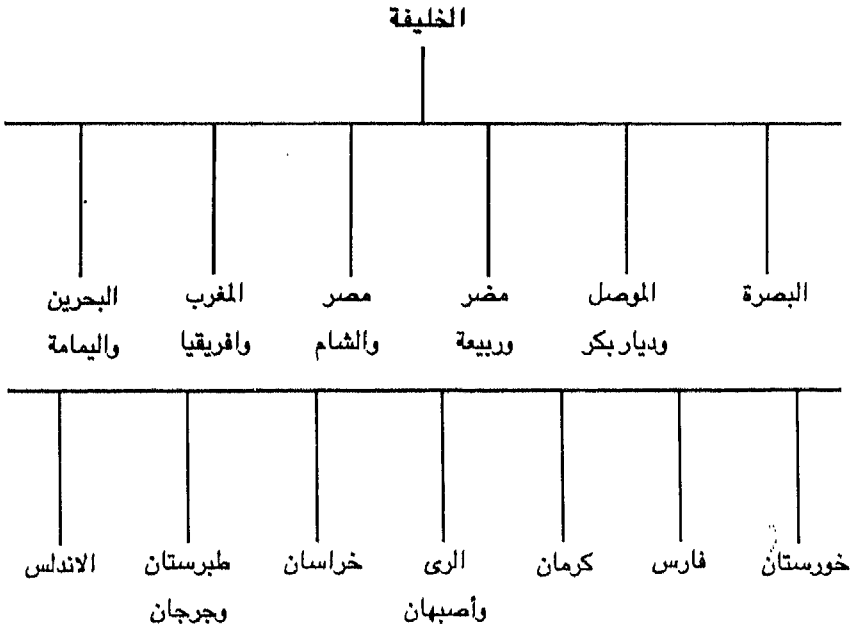
- ٤٠ -

وعند تعيين والى أو حاسب للديوان كان يشترط فيه صفات معينة ،
فيجب أن يكون فقيها متمتعا بصفات الأمانة والتقوى والعدل ، وله خبرة
جيدة فى هذا المجال .

وفى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عام ٢٣ هـ كانت الدولة الاسلامية
تتكون من الولايات الآتية :

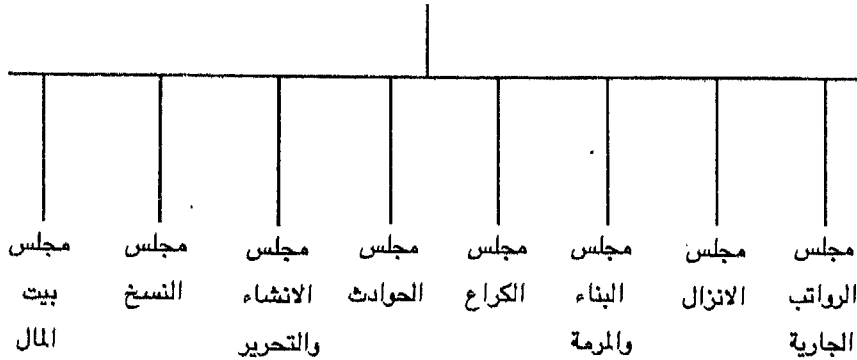


وفى عهد الخليفة الراضى (الدولة العباسية) عام ٣٢٢ هـ كانت
الدولة الاسلامية تتكون من الولايات الآتية :



وأما بيت المال الذى كان يتولى صرف النفقات العامة وتحصيل الإيرادات العامة فى الدولة الإسلامية ، فإنه كان يتمتع بتنظيم ادارى دقيق لكى يتمكن من تنفيذ مهامه فى دولة متواسعة الأطراف ، وكان ديوان النفقات الذى يتولى الانفاق وديوان الخراج الذى يقوم بالتحصيل تنقسم الى وحدات ادارية تسمى مجالس حسب الشكل التوضيحي التالى :

صاحب ديوان النفقات



ويختص المجلس الجارى باعداد وضبط مسيرات الرواتب ، ومجلس الانزال بتجهيز الطعام والكساء والهدايا للخليفة وضيوف الدولة ، ومجلس البناء والمرمة بتخطيط وتنفيذ المباني القائمة والجديدة .

ويتولى مجلس الكراع مسئولية شراء المواشى والانعام والعناية بها ، ومجلس الحوادث بالصرف على الأمور الطارئة مثل الهبات أو المتضررين من حرائق وزلازل وسرقات وغيرها .

أما المجالس الأخرى فهى ادارات خدمية للأعمال السابقة ، فيقوم بمجلس الانشاء والتحرير بتبويض المذكرات ، ومجلس النسخ بعمل عدة نسخ واعتمادها وتوزيعها الى الجهات المعنية (الاتصالات الادارية) ومجلس بيت المال بتنظيم الحسابات وضبط الأموال ومقابلة تفصيلي النفقات التى تم صرفها باجمالى نفقات الدولة (٣) .

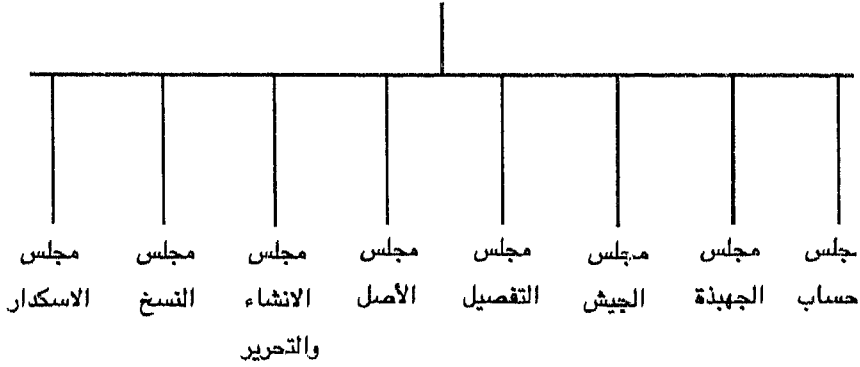
(٣) د. ضيف الله يحيى الزهراني ، النفقات وادارتها فى الدولة العباسية ، مكة المكرمة

١٤٠٦ ، صفحة ١١٢ - ١٢٠ .

- ٤٢ -

وبالمثل ، فان ديوان الخراج وهو مورد الأموال من خراج وزكاة وضرائب وغيرها ، يأخذ التنظيم الإداري التالي :

صاحب ديوان الخراج



ويختص مجلس الحساب بتصنيف الضرائب والأموال الواردة الى ديوان الخراج ، وعمل قوائم لكل منها وأوجه صرفها ، ومجلس الجهيزة بتدقيق حسابات الأموال الواردة والصادرة ، واعداد ملخص شهري عن الإيرادات والمصروفات والمتبقى من الأموال .

ويقوم مجلس الجيش بالاشراف على صرف رواتب الجنود ومخصصاتهم الشهرية بالتعاون مع المجلس الجاري ، وكذا توفير الأموال اللازمة للأسلحة والعتاد المختلفة ، ومجلس التفصيل بمراقبة تفصيلي الإيرادات ومجلس الاصل بمراقبة اجمالى الإيرادات والاحتفاظ بسجلات الخراج .

أما المجالس الأخرى فهي ادارات خدمية ويتولى مجلس الاسكدار أعمال الصادر والوارد أى مراقبة المستندات الواردة والصادرة(٤) .

واستخدم الرسول صلى الله عليه وسلم اثنين وأربعين كاتباً ، وقسم الأعمال بينهم وحدد اختصاصات لكل منهم ، فهناك كتاب الوحي وكتاب العهود وكتاب الرسائل وكتاب الأموال (المحاسبين) وفى القسم الأخير وزعت أعمالهم من صدقات ومداينات حسب المناطق وغيرها .

(٤) د . ضيف الله يحيى الزهرانى ، موارد بيت المال فى الدولة العباسية ، مكة المكرمة ، ١٤٠٥ ، صفحة ٢٦٨ - ٢٧٨ .

- ٤٣ -

واستلزم النظام المالى بعد ذلك انشاء الدواوين بفروعها واختصاصاتها ، وكان لا يخلو كل منها من وجود قسم خاص للمحاسبة وكتابة الأموال بغرض المحافظة عليها وضبطها ، ويسمى هذا القسم فى ديوان الخراج (مجلس الحساب) وفى ديوان النفقات (مجلس بيت المال) (٥) .

وتتميز الخريطة التنظيمية للأفراد بالوضوح ، فكل شخص يعمل فى الديوان يعرف واجباته ومسئوليته وحقوقه ، كما يعرف طريقة أداء عمله واجراءات تنفيذ ذلك العمل ، وكان نوع الوظيفة هو الذى يحدد الراتب ، مع مراعاة الظروف الاقتصادية السائدة .

ونعرض فيما يلى أهم الوظائف العامة التى لها علاقة بالأموال :

- وكيل الامام عن الشئون المالية
- صاحب السوق (المحتسب)
- الوزن
- الكيال
- صاحب الجزية
- صاحب الأعشار
- مستوفى خراج الأرضين
- صاحب المساحة (خاص بالأراضى الزراعية)
- العامل على الزكاة
- العامل على الصدقات
- الخارص (مقدر المال بين طرفين)
- صاحب الموارث (وارث من لا وارث له)
- المستوفى (قابض المال لنقله الى بيت المال)
- المشرف (مراجع حسابات المال)
- صاحب بيت المال - خازن النقدية
- صاحب بيت المال - خازن الأنعام
- صاحب بيت المال - خازن الثمار

(٥) د. محمد عبد الحليم عمر ، الرقابة على الأموال فى الفكر الإسلامى ، رسالة دكتوراه فى المحاسبة ، جامعة الأزهر ، ١٤٠٢ هـ ، صفحة ٢١٨ ، نقلا عن : محمد كرد على ، الإسلام والحضارة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ج ٢ ، ص ٩٧ .

- صاحب مراعى الزكاة
- صاحب دار الضيافة (نشأ فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم)
- صاحب دور الفقراء (عائل من ليس لهم أهل - من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم)
- صاحب دور المارستان (دور علاج المرضى - من عهد الوليد بن عبد الملك)
- صاحب الزوايا والتكايا (نشأت من دور الفقراء)

ويرتبط بهذه الأعمال طرق تنظيم عمليات الجباية والانفاق ووضع التشريعات التى تحكم هذه العمليات ووسائل الرقابة على هذه الأموال مستعينين فى ذلك بخبرة أهل الشام التى ظهر فيها هذا النظام قبيل الاسلام . وكان شئون بيت المال - أسوة بما هو متبع فى نظام العمل فى سائر شئون المسلمين - لا يكون الا بالشورى وكانت أموره تسير فى ضوء الشريعة الاسلامية ، وللمسلمين حق محاسبة الدولة اذا حادت عن ذلك .

وكان الديوان مقسما الى دواوين متخصصة مستقلة ، واتبع فيها مبدأ التخصيص وتقسيم العمل حتى يسهل الرقابة المالية عليها ، كما اتبع فيها مبدأ لامركزية الادارة حتى لا يحدث عطل أو جمود فى قراراتها . وكانت الرقابة الداخلية والخارجية على بيت المال تهدف الى محاسبة المسؤولين والولاة عن أعمالهم ومصادر أموالهم ، وتقرير المخالفات والمكافآت عقابا وثوابا(٦) .

ولكل ديوان مجموعة دفترية منتظمة خاصة به تثبت فيها الأعمال وفقا لتسلسل حدودها التاريخي ، ولا يتم التسجيل الا بموجب مستند معتمد(٧) .

وكان يتم التسجيل فى الدواوين الخاصة بالولايات المختلفة باستخدام اللغات الخاصة بها ، أى تسجيل هذه البيانات بلغات مختلفة ، ثم وحدت طريقة التسجيل باللغة العربية فى عهد الأمويين .

(٦) د . محمد سعيد عبد السلام ، مرجع سابق ، صفحة ١١٦ - ١١٩ .

(٧) د . محمود المرسى لاشين ، التنظيم المحاسبى للأموال العامة ، بيروت ١٩٧٧ ،

صفحة ٢٥٧ - ٢٥٨ .

وكانت تعمل ميزانية كل فترة دورية عن مركز الدواوين في الولايات المختلفة ويتحقق في اعدادها التوازن بين المصروفات والايادات لكل ولاية اسلامية ، مع بيان الفائض في كل منها وما ترسله من ايرادات الولاية بأمر الامام لصالح المسلمين(٨) .

ثالثا - موارد بيت المال : Treasury Resources (Proceeds)

في عهد الخلفاء الراشدين وما بعده استحدثت مصادر عديدة للموارد ، وعرف المجتمع الاسلامي لأول مرة الضرائب بمفهومها الحديث ، ومنها الضرائب الاجتماعية والضرائب العينية والبريد ، وكانت أهم موارد لبيت المال هي الخراج والجزية والزكاة والفى والغنمة والعشور .

١ - الخراج : Land Tax (Kharag)

وهو مقدار معين من المال أو الحاصلات (الخراج من الأرض) يفرض على الأرض التي صولح عليها المشركون اذا عدل الخليفة عن تقسيم هذه الأرض ، أو الأرض التي أفاء الله بها على المسلمين فملكوها وصالحوا أهلها أن يتركوها لهم بخراج معلوم يؤدونه الى بيت المال (ديوان الخراج) ويقول الله تعالى (فخراج ربك خير ، وهو خير الرازقين) (٩) ويبلغ خراج الفدان المنزرع قمحا في عهد عمر بن الخطاب أربعة عشر درهما ، وكان الخليفة يعين عمالا لتحصيل الخراج في المواسم الزراعية ثم تسلم الايرادات الى بيت المال بعد استبعاد مصروفات الجباية .

٢ - الجزية : Poll Tax

وهي مبلغ معين من المال يفرض على الرؤوس وتسقط بالاسلام ، أما الخراج على الأرض ، فانه لا يسقط بالاسلام ، وقد فرضت الجزية بنص القرآن الكريم في قوله تعالى (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (١٠) وهي مفروضة على الذميين بدلا عن الزكاة على المسلمين ، وذلك مقابل معافاتهم من القتال وحمايتهم من الأعداء والدفاع عن أملاكهم ، ومنحهم حرية العبادة .

(٨) د. حسن ابراهيم حسين ، د. علي ابراهيم أحمد ، النظم الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، صفحة ٢٢٠ .

(٩) آية ٧٢ من سورة المؤمنين .

(١٠) آية ٢٩ من سورة التوبة .

وكانت الجزية في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضى الله عنه غير محدودة ، وكان تقديرها متروكا لهما حسب ما يراه كل منهما من ظروف وأحوال وبالتراضى مع أهل الجزية ، ولما كثرت الفتوحات الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب رأى تحديد قيمتها حسب الآتى :

٤٨ درهم تفرض على الأغنياء

٢٤ درهم تفرض على متوسطى الحال

١٢ درهم تفرض على الفقراء (بشرط أن يكونوا متكسبين)

وكان يعفى من الجزية المساكين وغير القادرين على العمل مثل الأعمى والمجنون وذوى العاهات(١١) .

٣ - الزكاة : Alms-giving (Zakat)

ومعناها الطهارة وذلك بفرض مبالغ معينة على المال أو الممتلكات اذا بلغت النصاب وحال عليها الحول . والزكاة تفرض على النقد (الذهب والفضة) والسوائم وعروض التجارة والمعادن وثمار الزروع ، ويقول تعالى (واقموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) (١٢) وتوزع موارد الزكاة على ثمانية فئات من الناس ورد ذكرهم فى قوله تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة لله والله عليم حكيم) (١٣) ورغم أن الزكاة سعرها يسيرا الا أنها كانت تفرض على رأس المال والدخل وكان المسلمون يدفعونها كاملة باعتبارها من العبادات فكانت حصيلتها كبيرة .

٤ - الفى والغنيمة : Peace and War Booty

الفى كل مال وصل من المشركين للمسلمين عفوا من غير قتال ويقول تعالى (ما آفأ الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذلى القربى

(١١) د. محمد ضياء الدين الرئيس ، الحراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، القاهرة

١٩٦٩ .

(١٢) آية ٤٣ من سورة البقرة .

(١٣) آية ٦٠ من سورة التوبة .

واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء) (١٤) أما الغنيمة فهي ما حصل عليه المسلمون من عساكر الكفار عن طريق الحرب لقوله تعالى (واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) (١٥) ، وإذا جمعت الغنائم تقسم دفعة واحدة بعد تحقيق الحرب واعلان النصر واستقرار الملك الى خمسة أسهم حسب ما بين القرآن الكريم .

٥ - العشور : Tithe

وأول من طبقه عمر بن الخطاب حيث أمر أن يأخذ المسلمون العشر من التجار غير المسلمين القادمين ببضائعهم الى دار الاسلام ، وأمر أن يؤخذ من أهل الذمة (١٦) نصف العشر ومن المسلمين ربع العشر اذا بلغت قيمة السلع أكثر من مائتى درهم ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ان فى المال حقا سوى الزكاة) ، ويدخل فى هذا الحديث جميع الضرائب التى يأمر بها الامام (١٧) .

٦ - موارد متنوعة أخرى : Other Resources

وكان يدخل بيت المال بعض الموارد الأخرى مثل ميراث من لا وارث له ، والأموال التى لا يعلم لها مستحق ، والأموال التى صالح عليها المسلمون أعداءهم ، والمعادن الموجودة فى الأرض .

رابعا - مصارف بيت المال : Treasury Expenses

وكان المال الذى يرد من المصارف السابقة ينفق على مصالح الدولة حسب ما يراه الامام الذى كان يعتبر مال بيت المال أمانة لله ولجهمور المسلمين ، فلم يسمحوا بدخول أو خروج شيء منه مخالفا للشريعة ، وكان يساوى الخلفاء فى العطاء بين العرب وغير العرب ، وحدد راتب مثل أوسط الناس للخليفة بدءا من أبى بكر الصديق ، ولكنه أعاد راتبه المقبوض عندما حضره الموت وأوصى برد ما قبضه من بيت المال وقال لأهله (قد كنت قلت

(١٤) آية ٧ من سورة المشر .

(١٥) آية ٤١ من سورة الأنفال .

(١٦) أهل الذمة هم أهل الكتاب عدا المسلمين .

(١٧) د . ابراهيم دسوقى أباطة ، الاقتصاد الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، صفحة ١١٩ ،

والحديث رواه ابن ماجه والترمذى .

لعمري أخاف ألا يسعني أن آكل من هذا المال شيئا فغلبني ، فإذا أنا
مت خدوا من مالى ثمانية آلاف درهم وردوها فى بيت المال) .

وكانت مصارف بيت المال لصالح الدولة والرعية هي :

١ - المصارف المقررة Islamic determined expenses فى القرآن والسنة
مثل الزكاة .

٢ - رواتب الجنود Soldiers salaries ، وقد حدد عمر بن الخطاب
رواتب ثابتة للجنود تصرف لهم فى أوقات معينة كل عام ، وهى :
٧٠٠٠ ، ٨٠٠٠ ، ٩٠٠٠ درهم حسب نوع العمل الموكل به كل منهم .

٣ - رواتب القضاة والولاة والموظفين Judges, rulers and staff salaries
وكان لهم فئات محددة حسب الأسبقية فى الاسلام نذكر منها :

٥٠٠٠ درهم من شهد بدر والحسن والحسين
٤٠٠٠ درهم قدامى المسلمين
٣٠٠٠ درهم أبناء المهاجرين والأنصار

٤ - شق الأنهار rivers واصلاح مجاريها channels وحفر الترغ
canals حتى تصل الحياة الى أكبر مساحة ممكنة من الأراضى
وزراعتها .

٥ - نفقات المسجونين prisoners والمشركين atheists من مأكلا
ومشرب وملبس .

٦ - الاتفاقات على المعدات الحربية war equipments لمجابهة الفتوحات
المستمرة .

٧ - العطايا والمنح للأدباء والعلماء (١٨) gifts and rewards

وفى كل حول ، يقارن اجمالى الموارد واجمالى المصارف لحساب الفائض
فى بيت المال ، ويتم جرد هذا الرصيد فعليا للتأكد من سلامة الحسابات
وصحتها أسوة بما هو متبع فى الفترة الحالية من وسائل الرقابة الداخلية
على الموجودات .

(١٨) د. حسن ابراهيم حسن ، د. على ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ، القاهرة ،
١٩٦٠ ، صفحة ٢٢٢ .